محاضرة رقم3

التحولات الكبرى في تاريخ الفلسفة المعاصرة

مقدمة:

تمثل التحولات الفكرية الكبرى التي اجتاحت المشهد الثقافي للفلسفة المعاصرة، أحد المؤشرات العميقة التي مست الهيكلة العامة لمسار تاريخ المنجزات الفلسفية والعلمية والمعرفية التي أنتجها العقل الغربي في مختلف الحقب الزمانية، رغبة منه مجاوزة الاشكالات التي كانت تواجهه، خصوصاً منذ مرحلة الانتقال من الحداثة إلى مرحلة مابعد الحداثة، التي اجتهد فيها العقل الفلسفي في محاولة جادة للكشف عن المعقل الميتافيزيقي الذي كان يعيق تقدم الفكر، وتثبيت أمله في ترميم المزالق التي وقع فيها الفلاسفة للكشف عن وجود مواطن علمية وابستيمولوجية متقدمة، دفعته لكي يكون أكثر تحرر من النمطية التي كان يعيشها في المرحلة الحديثة، فما طبية هذه التحولات والمنعطفات التي حدثت في الفلسفة المعاصرة؟

إن التطورات الكبرى التي حدثت في الفلسفة المعاصرة ، تمثلت في بروز التيارات الوضعية وفلسفة التحليل اللغوي، باعتبارها فلسفات تمتلك نفوذاً قوياً حين سعت إلى التحرر من الوضع الميتافيزيقي الذي خيم على المشهد الفلسفي السابق الذي غلب عليه الطابع النسقي والمذهبي في تناول مختلف القضايا الفلسفية، هذا التحول دفع فلاسفة التحليل اللغوي الانخراط بشكل مباشر في العمل على التنقيب في محتوى المشكلات العلمية والمشكلات الفلسفية من حيث فحص المنظومة اللغوية والمنطقية والتدقيق في المسالك الفكرية والمعرفية التي تقوم عليها.يقول "ديمت" في كتابه أصول فلسفة التحليل:"أن ما يميز الفلسفة في مختلف مظاهرها وتياراتها الفلسفية، يكمن في المقام الأول على وجود قناعة بأن التحليل الفلسفي للغة، بإمكانه أن يقودنا إلى تفسير فلسفي للفكر، وفي المقام الثاني، فإن هذه القناعة تأتي من وجود رغبة قوية في وضع تفسير شامل للغة".

ومن هذه الزاوية تحولت المشكلات الفلسفية إلى العناية بموضوع اللغة التي أصبحت موضوعاً مركزيا بالنسبة للفلسفة، فتنامت حيالها دعوات صريحة سعت إلى التركيز على دور اللغة في وظيفتها المنهجية، والحرص على الوضوح في الفكر والمعنى وضبط البنيان المفاهيمي واللغوي للخطاب الفلسفي والأركان التي يجب أن يقوم عليها، لذلك كانت مشروعية انتقال فلاسفة اللغة من هموم البحث العلمي إلى مجال النظر في الموضوعات والأشياء والتدقيق في مسائل تحليل اللغة

في صورتها الطبيعية والرمزية له ما يبرره، وعليه تحولت آفاق الفلاسفة إلى استثمار الاشتغال الفلسفي في التركيز على اللغة والمنطق في فهم طبيعة المشكلات الفلسفية والمشكلات العلمية، وهذا ما لجأ إليه أمثال، " فتجنشتين" و"كارنب" و"راسل" و"مور" وغيرهم .

كذلك من التحولات التي ظهرت في الساحة المعرفية، تصاعد التيار الفينومينولوجي، بوصفه من أكبر التيارات الفلسفية التي سجلت تأثيرها في المشهد الفكري المعاصر والذي أسسه "إدموند هوسرل" ساعياً إلى تغيير طريقة الاشتغال الفلسفي، وذلك بالاهتمام بتحليل الماهيات والتركيز على دراسة ما هو عيني وملموس، والعناية بقضية وصف البنى الأساسية التي يقوم عليها الوعي والتجربة الذاتية، وكيف تظهر الأشياء للعقل، والسعي إلى حل أزمة العلم المعاصر، ومجابهة الخلاف التقليدي الذي كان سائدا بين المذهب المثالي والمذهب الواقعي، ومحاولة البث في إشكالية الفصل بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي، والعودة إلى الأشياء ذاتها .

كذلك من أهم التحولات التي عرفتها الفلسفة المعاصرة، بروز الفلسفة الوجودية التي نالت اهتماماً خاصاً من قبل الفلاسفة أمثال "كيرجارد" و"هيدجر" و"سارتر" وغيرهم ، إذ عكفت هذه الفلسفة في وضع الوجود الإنساني، صلب الاهتمام الفلسفي وربط المشكلات الفلسفية بمسائل الحرية والمسؤولية والثورة على الأوضاع التي يعيشها الإنسان الأوربي من قلق وتوتر وأزمات متعددة الأوجه، كما تهدف هذه الفلسفة إلى العناية بالوجود الانساني والسمو به إلى أعلى المراتب، باعتبار أن الأنسان هو الكائن الوحيد القادر على احتضان سؤال الوجود، وأن يكون لهذا الوجود معنى مختلف عن التصورات التي قدمتها الفلسفات المثالية التي كانت بعيدة عن فهم الواقع المحيط به.

كما ظهر في الفلسفة المعاصرة، التيار البراغماتي الذي سعى إلى تقديم رؤية فلسفية عميقة قريبة من الواقع، تمثلت أساساً في العمل وربط جل المعارف والأفكار بالخبرة والتجربة والنتائج المترتبة عنها، وبهذا ذهب فلاسفة هذا التيار أمثال ""بيرس" و"جيمس" و"ديوي" وغيرهم إلى التركيز على الجانب العملي والايمان بالواقع الفعلي ونبذ التصورات المجردة والأفكار الميتافيزيقية التي ليس لها علاقة بالواقع الخارجي.

وعلى ضوء هذه التحولات الفكرية الكبرى، أصبحت الفلسفة المعاصرة موصولة بالعلم وأكثر ارتباطاً به، على أساس أن الاعتماد على المنهج العلمي بإمكانه أن يزيح اللبس الذي كان يعتري المشكلات الفلسفية، واحتضان نتائج العلوم الطبيعية والنظريات العلمية وتبنيها في مجال العلوم الانسانية، قد أعطى

انطباعً قوياً على تنامي الأبعاد الابستيمولوجية والنقدية في هدم الأساس الميتافيزيقي الذي لحق بالنظريات الفلسفية التي كانت تدّعي الاحاطة بالمعطى المعرفي.

بينما ركز التيار الحيوي الذي تزعمه "برغسون" على الجوانب المتعلقة بالحدس والديمومة استجابة لدواعي الاحتياجات الروحية لعصره، أما البنيوية انشغلت بدراسة الجوانب الأنتربولوجية والقيام بتحليل البنى الكامنة في اللغة والمجتمع وهذا ما قام به "كلود ليفي ستراوس"، في حين جاءت ما بعد الحداثة (فوكو، دريدا) لتفكيك هذه البنى والسرديات الكبرى، ونقد المفاهيم الموصولة بالحقيقة والمعنى.

كل هذه التحولات الكثيفة التي حصلت في مجريات المرحلة المعاصرة تنبئ على التطورات التي يشهدها العقل الغربي في اصراره على عدم الاستقرار على نموذج معرفي واحد ، وإنما كانت طموحاته واسعة جدا الذهاب إلى عمق الطرح الفلسفي والعلمي والمادي على السواء، باعتبار أن الفلسفة تنمو بممارسة النقد وتموت من غير نقد، وهذا ما يشكل دلالة قوية على وجود قاعدة فلسفية تحكم ذهنية الفكر الغربي الذي يعيش في فضاء الاختلاف، مدركاً ضرورة إنعاش الخطاب الفلسفي، سواء كان ذلك في مسالكه اللغوية أو المنطقية أو العلمية، فتناسلت هذه التحولات قضايا التأويل والسيميائيات واللسانيات التي أصبحت تسم مسارات الفكر الفلسفي المعاصر.